



## انتكاسة الحرائق بواحات درعة تافيلالت

من إعداد:

مريم اوغلووش؛ علي آيت يوسف؛ عبدالله اقبلي

## I. الملخص التنفيذي

لعل من بين ما يميز جهة درعة تافيلالت الواقعة في الجنوب الشرقي للمغرب هو احتضانها لامتدادات من شجر النخيل، التي تنمو على شكل واحات تساهم في خفض نسب التصحر وزحف الرمال للشمال وترطيب المناخ بالجهة. كما أنها تعتبر قاطرة للقطاع الفلاحي ودعمه مجتمعية تؤثر إيجاباً على الاستقرار المحلي للسكان. وخلال هذه السنين الأخيرة، عرفت هذه الواحات اندلاعات متكررة وعشوائية للحرائق، بسبب عوامل طبيعية وبشرية، الشيء الذي هدد ولازال يهدد وجودها. تقدم هذه الورقة توصيات من شأنها أن تحد من هذه الظاهرة، سواء من ناحية استباقية الحريق أو من ناحية معالجة ما خلفه. وهذه التوصيات تهتم أساساً بتحسين مخلفات النخيل وتنقية الواحات وتوفير المعدات اللازمة للإطفاء في الأقاليم المتضررة. إضافة إلى تشييب الواحات وتعويض الضرر للفلاحين المحليين.

## II. المقدمة

يعد الجنوب الشرقي للمغرب، خاصة أقاليم الرشيدية، وزاكورة، وتنغير، المصدر الأول للتمور على الصعيد الوطني، إذ تحتضن هذه الأقاليم واحات شاسعة من أشجار النخيل من أصناف عديدة ومتنوعة. وتشير الإحصائيات التي وفرتها وزارة الفلاحة المغربية على موقعها الرسمي سنة 2019، أن العدد الإجمالي لنخيل التمور بواحات درعة تافيلالت يناهز 4 ملايين و853 ألف نخلة، وتمتد زراعة النخيل بهذه الجهة على مساحة حوالي 50 ألف هكتار، بمتوسط إنتاج يمثل 84% من الإنتاج الوطني للتمور. علاوة على أن هذا القطاع يوفر 3 ملايين يوم عمل في السنة على المستوى الجهوي، ويشارك في تكوين ما يقارب 65% من دخل الضيعات بالواحات، حسب المصدر ذاته، الشيء الذي يساهم في تنمية واستقرار الساكنة المحلية.

إلا أنه في السنين الأخيرة، تراجع معدل إنتاج التمور بسبب الحرائق بشكل مهول، حيث انتقل من 85% إلى 60% من الإنتاج الوطني، وذلك حسب المديرية الجهوية لوزارة الفلاحة. ففي ظل استفحال ظاهرة الجفاف وارتفاع درجات الحرارة خاصة في المرحلة الصيفية وهذا بسبب تبعات التغيرات المناخية فقد أصبحت الواحة عموماً وبجهة درعة تافيلالت خصوصاً، تواجه مشكلة اندلاع الحرائق. الشيء الذي يحث بشكل جدي، على البحث عن سبل الوقاية من هذه الظاهرة بوضع خطط واستراتيجيات استباقية تراعي مميزات المنطقة، والسعي إلى إصلاح ما خلفته الحرائق الماضية وتعويض الخسائر.

### III. التحليل

عرف إنتاج التمور خلال السنوات الثلاث الأخيرة تراجعاً مهولاً، بسبب الحرائق المتتالية المسجلة في الواحات بدرعة تافيلالت، خاصة بزأكورة ومنطقة "أوفوس" ضواحي الرشيدية. الأمر الذي زاد من تعبات الجفاف على المنطقة وهدد وجود عدد كبير من أشجار النخيل، فيما ينتظر الفلاحون المحليون المتضررون من الحرائق تدخل الوزارة الوصية لدعمهم في تجاوز محتهم. في السنتين الأخيرتين، امتدت شرارة النيران إلى واحة زيزب "أوفوس" (إقليم الرشيدية)، بإجهازها على أزيد من 2540 نخلة، وأكثر من 1500 شجرة زيتون. وذلك على مساحة 20 هكتارا. كما أن واحة منطقة "زأكورة" التهمت الحرائق فيها ما يقرب من 15 هكتارا من أشجار النخيل. وشهد كل من منطقتي "تانسيفت" و"توغزي" فقدان ما بين 2000 و2500 نخلة على مساحة تقارب 15 هكتاراً. وعرفت منطقة "أوفوس"، في شهر غشت من السنة الماضية احتراق ما يناهز 40 هكتار أي 5500 نخلة هذا فضلا عن ضياع ما يناهز 200 شجرة من ضمنها 100 شجرة زيتون<sup>1</sup>. و كما يبين الجدول أسفله، فإن إقليم زأكورة عرف في السنة الماضية عدة حرائق، أدت إلى إتلاف ما يقارب 1410 نخلة:

#### مجموع الحرائق التي اندلعت في أربع جماعات بإقليم زأكورة سنة 2021

الجماعة	فترة اندلاع الحرائق	أشجار النخيل المتضررة
ترناتة	05/02/2021 - 27/06/2021	725
فزواطة	27/03/2021 - 21/06/2021	93
تازارين	11/03/2021 - 25/06/2021	142
مزكيطة	07/03/2021 - 30/06/2021	420
كتاوة	22/06/2021	30
<b>المجموع</b>		<b>1410</b>

المصدر: من إحصائيات الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان- زأكورة (2021).

لقد أضحت حرائق الواحات إذن، ظاهرة تضاهي تأثيراتها الكوارث الطبيعية التي تطال مختلف الموارد الطبيعية وتجهز على الأخضر واليابس وتخلف دماراً يستوجب لملمة آثاره سنوات طوال. وترجع أسباب هذه الظاهرة إلى عاملين أساسيين هما: **العامل المناخي والطبيعي**: الذي يتجلى في ارتفاع درجات الحرارة في المرحلة الصيفية وقوة سرعة الرياح بالجهة وتبعات التغير المناخي، إضافة إلى شيخوخة النخيل وانتشار مرض "البيوض" في عديد من الأشجار. ثم **العامل البشري**: وهو مرتبط أساساً بتكديس الساكنة لمخلفات

<sup>1</sup> من دراسة "واحات النخيل ومعضلة تغير المناخ" للكاتب المغربي محمد التفراوتي، 2022.

النخيل والأعشاب داخل الواحة، ومشكل الهجرة واندثار الدرايات المحلية المتعلقة بزراعة أشجار النخيل وتنقية الواحات.

وضمن هذا السياق دق المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي ناقوس الخطر سنة 2019، حول التهديد الذي طال الواحات المغربية، من ناحية الحق في الماء والأمن المائي، وذلك بسبب الاستغلال المفرط للموارد المائية<sup>2</sup>. فالواقع المزري لواحات درعة تافيلالت هو أساساً نتاج للتغيرات المناخية التي يعد الإنسان السبب الأول فيها، سواء في البلد نفسه أو خارجه. فبالرغم من أن بلدان شمال أفريقيا لا تساهم بنسب عالية من الكربون، إلا أنها بالمقابل تتأثر بشكل سلبي من تبعات التغيرات المناخية والاحتباس الحراري، خصوصاً في مناطق هشة مثل الواحات. ذلك أنّ ارتفاع درجات الحرارة، يضغط على الموارد المائية، وهو ما يعني، في مناخ جاف كمناخ الواحات، تعميق أزمة الندرة. ولقد كان واضحاً في واحة "أيت شاكر" بإقليم الراشدية، أنّ الموارد المائية في تناقص مستمر، ذلك أنّ الفلاحين يجدون صعوبات كبيرة في الحصول على الماء الذي يُعينهم على ريّ نخيلهم من جهة وعلى مواجهة الحرائق من جهة أخرى، من الآبار التي يحفرونها<sup>3</sup>.

كما أن الهجرة المتوالية للسكان المحليين إلى المدن، فاقمت إهمال النخيل، وهو عامل آخر يجعل من الواحات مجالاً يُشبه الغابات الكثيفة التي يصعب اقتحامها حتى على رجال الإطفاء عند حدوث حرائق. وفي الوقت الذي كان يمكن لمخلفات أشجار النخيل، وبخاصة جريدها أن يصبح مجالاً للاستثمار عبر تحويله إلى مواد استهلاكية تدرّ دخلاً إضافياً على السكان المحليين، أصبح اليوم يلعب دوراً أساسياً في انتشار الحريق بوتيرة أسرع. تشير رئيسة قسم الهجرة والبيئة وتغير المناخ بمنظمة الأمم المتحدة "دينا أيونيسكو" إلى «أننا نعيش

الآن في عصر ترتبط فيه الأحداث الكارثية المتعلقة بالمناخ بالنشاط البشري، ومن المحتمل أن يكون لذلك تأثير كبير على الطريقة التي نقرر بها الهجرة إلى مكان ما والاستقرار»، فلا أحد ينكر تأثير تغير المناخ في حركة السكان، فالهجرة أو النزوح هي آليات لتكيف الإنسان مع بيئته، وجهة درعة تافيلالت خصوصاً على مستوى الواحات، عرفت هجرة غير مسبوقه لساكنيها، وهذا النوع من الهجرة في المنطقة هو بالتأكيد مستمر بسبب استمرار فترات الجفاف في العقود الأخيرة وتدهور المنظومة البيئية بسبب التصحر والحرائق.

إن استمرار اندلاع أسنة النار وزحف الرمال وتوالي فترات الجفاف، كانت ولا تزال أسباب مباشرة للتدهور الغير مسبوق لأشجار النخيل بالواحات، حيث تحولت أغلبها إلى حقول جرداء وأطلال ومقابر (الصور 1 و 2). وباعتبار النخيل هو الثروة الطبيعية السائدة في جل مناطق درعة تافيلالت فإنه يشكل قاطرة المجال

<sup>2</sup> من مقال : تدبير الواحات المغربية : خطاب وممارسة مزدوجين للكاتبين إسماعيل أيت باسو و عبد الصمد خضيري، 2022.

<sup>3</sup> من مقال : ما علاقة التغير المناخي بحرائق الواحات بالمغرب؟ عربي وكالات، 2022.

الفلاحي بالجهة، وأي مشكل بيئي يهدد الواحة، يؤثر بشكل مباشر وكبير في تراجع النمو الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي في المنطقة ككل.

الصور 1 و 2 لواحاح بعد الحريق بإقليم زاكورة



المصدر: من أعمال الندوة الدولية حول الديناميات البيئية والمخاطر الطبيعية في الأوساط المتوسطية. عبد القادر اسباعي، 2021.

ورغم الجهود المبذولة في الزيادة من المساحات المغروسة، حيث بلغت نسبتها 82% بين سنة 2008 و2019، ومجهودات الرفع من نسبة إنتاج التمور التي قاربت 95% خلال الفترة نفسها وذلك حسب المديرية الجهوية للفلاحة، فإن الواحات في السنين الأخيرة لم تسلم من الآثار المفجعة التي سببتها الحرائق والتي أدت إلى تبعات اقتصادية واجتماعية وبيئية للسكان. وأشار مصدر تابع للمديرية الجهوية للفلاحة في تصريح صحفي أن: "الأرقام المسجلة في السنوات الأخيرة بفضل مخطط المغرب الأخضر، تهاوت بشكل ملحوظ بفعل الحرائق المتوالية على الواحات بشكل عشوائي وغريب"<sup>4</sup>. وحديثا عن هذا الأمر، فقد صرح الخبير البيئي والمتخصص في المناخ والتنمية المستدامة، محمد بنعبو بأن: "المنظومات البيئية تعاني في صمت بمواجهة ظاهرة تغير المناخ، وفي مقدمتها واحات المغرب التي رغم التوعية في صفوف السكان المجاورين والمشاريع الهيكلية التي تهدف للحفاظ على هذا الموروث الثقافي اللامادي، لازالت الحرائق تشب بها بشكل مفاجئ"<sup>5</sup>.

لكل هذه الأسباب، فإن الوضع البيئي في جهة درعة تافيلالت لا يبشر بمستقبل جهوي واعد. الواحة التي لم تسلم بعد من تبعات الجفاف وقلة التساقطات، تتخبط الآن في ويلات اندلاع الحرائق بها. وهذا ما يستدعي التفاتة جدية وسليمة من جميع جهات المجتمع الحكومية وغير الحكومية، لاتخاذ تدابير استعجالية ووضع

<sup>4</sup> من مقال : قطاع التمور في جهة درعة تافيلالت يواجه تناسل حرائق الواحات لمحمد ايت حساين، هيسبريس 2022.

<sup>5</sup> من مقال : حرائق الواحات تشتعل ومخاوف من تداعيات اقتصادية لفاطمة علي، سكاى نيوز عربية 2022.

استراتيجيات محكمة تراعي وتأخذ بعين الاعتبار مميزات الجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية،  
أملا في تدارك الأمر واحتوائه وإصلاح ما يمكن إصلاحه.

#### IV. الخلاصة

الحرائق التي عرفتها جهة درعة تافيلالت مؤخرا، زادت من وطأة التدهور الذي تعاني منه الواحة من قبل بسبب الجفاف وقلة التساقطات، فجعلت منها مساحات جرداء خالية من أي حياة. وبذلك اتسعت الفجوة بين ما تعيشه الجهة وبين ما تفتحته التنمية الجهوية والوطنية من أبواب جديدة ومستقبل واعد. إن الحفاظ على الواحات، التي تعد جزء لا يتجزأ من هوية المنطقة وتاريخها الحضاري، يتطلب اعتماد معالجة خاصة لحماية النخيل المثمر والنظام الإيكولوجي للمنطقة ضد الحرائق، وذلك من خلال نهج استراتيجيات استباقية وترميم ما خلفته السنة اللهب على مستويات عدة، وبالتالي المساهمة في تنمية القطاع الفلاحي الذي يلعب دورا كبيرا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ودعوة السلطات المحلية لإنصاف الواحات في إطار العدالة المجالية، والاهتمام بها مثل باقي المناطق الأخرى من البلد نفسه لتأخذ نصيبها من التنمية والحماية والمحافظة على مكوناتها من إنسان ونبات وحيوان وعمران. وفيما سيأتي بعض التوصيات التي ارتأينا إليها بعد دراسة الموضوع والتي من شأنها أن تعالج المشكلة سواء بشكل استباقي أو كإصلاح لما خلفه الحريق.

#### V. التوصيات

- تشجيع الجمعيات والتعاونيات على تدوير وتثمين مخلفات النخيل في صناعة علف الماشية والأسمدة الخضراء وصناعة الخشب وذلك من خلال إنشاء تعاونيات جديدة تهتم بهذا المجال وإدراج هذه المخلفات في دورة تجارية لتحقيق دخل إضافي من بيعها، مع القيام بشراكات بين المجتمع المدني بالمنطقة والمؤسسات الوطنية و/أو الدولية المهتمة بمجال النخيل.
- تشييب الواحة وتنميتها، من خلال أغراس وفسائل جديدة والسماح أو على الأقل تقنين نقلها من واحة إلى أخرى بشرط أن تكون سليمة من الأمراض و احترام مسافة الزرع داخل الواحات وترك ممرات لتسهيل ولوج رجال الإطفاء في حالة الحريق.
- نشر الوعي بأهمية النخيل وتنميته وتنقيته، من خلال حملات و ندوات تحسيسية تتشارك فيها جهات وطنية مختلفة (المؤسسات، الجامعات، الشركات و جهات المجتمع المدني...)، إضافة إلى تحفيز وتشجيع المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية على القيام بحملات لتنظيف الواحات من البلاستيك و

الأوراق مقابل تحفيز مادي ومعنوي لإنجاح هذه العمليات، مع تخصيص جوائز لأنظف بستان/ أنظف دوار.

- تقوية التشوير الطرقي الخاص بتجنب اسباب الحريق وتثبيت اجهزة انذار بالحرائق الى جانب محطات صغيرة لقياس درجة الحرارة في عدد من النقاط المهددة، هذه الأجهزة تصدر انذارا صوتيا بعد ارتفاع درجة الحرارة و نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون الناتج عن دخان الاحتراق.
- الاهتمام بتوفير معدات متطورة لإطفاء الحرائق بجميع أقاليم الجهة و المناطق الواحية المعروفة بنشوب الحرائق بها، و هذه المعدات تشمل طائرات و شاحنات صغيرة متأقلمة مع المسالك الموجودة داخل الواحات، بالإضافة إلى توفير نقط ماء قريبة للتزود منها أثناء نشوب الحريق.
- تقوية الترسانة القانونية من جهة مراقبة استغلال الموارد المائية و تقنين الزراعات المستنزفة للماء و حفر الآبار بشكل عشوائي، إضافة إلى تطبيق قانون يمنع إحراق مخلفات النخيل داخل الواحات لأن هذا السلوك يؤدي إلى اندلاع الشرارات الأولى للحرائق.
- إعادة النظر في طريقة تقديم الدعم المتعلق بتنقية الأعشاش<sup>6</sup> لأن الفلاح بدأ يعتقد أن هذه العملية واجبة على الدولة وبالتالي يتكاسل الكثير منهم عن صيانة وتنظيف أشجارهم ما يؤدي إلى تكديس كبير لهذه المخلفات الشيء الذي يضر بجمالية الواحة و يساهم في انتشار النيران .
- تقوية التنسيق المؤسسي للسياسات الواحية، من خلال ابرام شراكات تعاقدية بين المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي و وكالة تنمية الواحات والمجالس المنتخبة والجمعيات المحلية لتحديد مجالات التدخل، من أجل تحقيق تنمية مستدامة و الرفع من قيمة دعم الفلاحيين لمواجهة آثار التغيرات المناخية و التوجه إلى خلق زراعات لا تتطلب نسبة كبيرة من المياه الجوفية.

<sup>6</sup> تنقية الأعشاش: تعتبر عملية تنقية أعشاش النخيل عملية أساسية من أجل تحسين الإنتاج وجودته، وتشمل التقليم، إزالة الأشواك وعزل الفسائل .

## المراجع

- بوزاليم مبارك و زركف أحمد، 2017. بعض مظاهر تدهور المجال الواحي الططاوي.
- عبد الصمد إيشن، 2021. بعد حرائق واحات درعة تافيلالت .. رئيس الجهة يقترح أربع حلول للظاهرة، هوية بريس.
- عبد القادر اسباعي، 2021. أعمال الندوة الدولية حول الديناميات البيئية و المخاطر الطبيعية في الأوساط المتوسطة. منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الاول، وجدة.
- محمد التفراوتي، 2022. واحات النخيل و معضلة تغير المناخ.
- محمد آيت حساين، 2022. جفاف مخيف في جهة درعة تافيلالت .. مخلفات العطش تهدد إيقاع الحياة، هيسبريس.
- مصطفى شاكري، 2022. جمعيات تنبه الحكومة إلى انتشار واحات جهة درعة من مخاطر بيئية، هيسبريس.
- مولاي أحفيظ صبري، 2014. واحة كلميمة: الدينامية و إعادة الهيكلة. أطروحة دكتوراه. جامعة شعيب الدكالي، الجديدة.
- M. Zhar, A. Ibn El Farouk, A. Bouaouinate et M. Ouadrim, 2019. Espace, Territoire et Société au Maroc, Mutations, Dynamiques et Enjeux. Publications de FLSH Mohammadia.